أسلوبية التّكرار في شعر محمّد الصالح باوية "قصيدة أغنية للرفاق أنموذجا"

الطالبة :سربوك خديجة
المشرف :د/صفية بن زينة
جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف (الجزائر)
البريد الالكتروني:serboukkhadidja@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/10/28 تاريخ القبول:2020/05/14 تاريخ النشر: 2020/06/17

الملخص :

تتطلع هذه الورقة البحثية الموسومة ب"أسلوبية التكرار في شعر محمّد الصالح باوية "قصيدة أغنية للرفاق انموذجا" إلى مكاشفة جانب فني مهم في تجربة الشاعر الإبداعية ،يتمثل في ظاهرة التّكرار التي استثمر الشاعر تجلياتها الفنّية وفاعليتها الدلالية وأبعادها الجمالية ،لتشكيل لغته الشعرية على نحو يكسبها طاقات ايحائية وإمكانات تعبيرية قادرة على تجسيد رؤيته التجديدية ،وخروجه عن المألوف والمتداول في دلالات الألفاظ واستثماره لفاعلية التّكرار في التشكيل الفنّي لقصيدته بهدف إثرائها من حيث الإيقاع الموسيقي .وإذا كان التّكرار يعد مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر فإن هذه الورقة البحثية تهدف إلى الكشف عن جمالياته وفاعليته الدلالية في قصيدة "أغنية للرفاق "للشاعر الجزائري محمد الصالح باوية ،وإلى محاولة التعرف على مفهوم التّكرار وأهم بواعثه وأنماطه ،وإلى أي مدى استطاع الشاعر أن يوفق في بنائه ليجعل منه أداة فاعلة داخل نصه الشعريّ.

الكلمات المفاتيح :

التّكرار ،محمّد الصالح باوية ،أغنية للرّفاق،الجمالية ،الإيقاع الموسيقي.

1-مقدمة :

يعد التّكرار من الخصائص الأسلوبية و التقنيات التعبيرية التي تقوي المعاني ،وتعمّق الدلالات ،فتزيد من قيّمة النصوص الفنيّة لمّا تضفيه عليها من أبعاد دلالية وموسيقية مميّزة ،بوصفه الكود الفني الكاشف عن الكثير من الجوانب النفسية والدلالية التي تنطوي عليها الذات المبدعة في تشكيل رؤيتها ، ووصف الحالة الشعورية التي تتملكها لحظة المخاض الشعري ؛فالصورة المكرّرة لا تحمل الدلالة نفسها وإنّما تحمل دلالات جديدة بمجرد خضوعها لخصيصة التكرار الّذي يؤدي رسالة دلالية تكمن في التضافر convergence[1]ويقصد به "إركام جملة من الإجراءات الأسلوبية المستقلة في نقطة معينة من النص "[2]ذلك التراكم الكمّي الّذي يعمل على شّدّ انتباه القاريء إلى مقصدية دلالية معينة يقصدها الشاعر، ومن ثّم لجأت القصيدة الحداثية المعاصرة إلى التفنن في بلورة ذاتها وإيصال رسالتها باستحداث وسائل أسلوبية متنوعة ،فقد "جاءت على أبناء هذا القرن فترة من الزمن ،عدّوا خلالها التكرار ،في بعض صوره لونا من ألوان التجديد في الشعر "[3] فحقّل الخطاب الشعريّ الحديث والمعاصر ببنى تكرارية كان لها الدور الفعّال في الصعود بالشعرية إلى مصاف الجمال والتأثير ،ولعلّ مبدعي الخطاب الشعري أدركوا بثاقب بصيرة أهمية هذه التقنية فاشتغلوا على استثمار إمكانياتها الجمالية في أعمالهم .

ومن هذا المنطلق نعمد في الورقة البحثية المتواضعة إلى دراسة ظاهرة التكرار في شعر محمد الصالح باوية التي أخذت بعدا ومن هذا المنطلق نعمد في الورقة البحثية المتواضعة إلى دراسة ظاهرة التكرار في شعر محمد الصالح باوية التي أخذت بعدا توظيفيا في الدراسة الأسلوبية ،ومن ثّم الإجابة على السؤالين التاليين :

-ماهي أبرز الخصائص الفنيّة لأسلوب التّكرار في شعر محمّد الصالح باوية ؟

-ماهي أسباب ومبررات لجوء الشاعر لاستخدام ظاهرة التّكرار ومدى فاعليتها في قصيدته "أغنية للرفاق "؟

-التوصيف النظري لمصطلح التّكرار Répétition :

2-1--مفهوم التّكرار في اللّغة والاصطلاح :

يقصد بالتّكرار في معاجم اللّغة العربية –قديمها وحديثها- الرجوع إلى الشيء والإتيان به مرة بعد أخرى ،و يفيد كذلك الإعادة وترديد الصوت ،جاء في لسان العرب لابن منظور :" الكرّ:الرجوع ،يقال كرّه و كرّ بنفسه ،يتعدّى ولا يتعدّى . والكرّ مصدر كرّ عليه يكرّ كرّا وكرورا وتكرارا ،عطف ، وكرّعنه رجع .وكرّ على العدّو يكرّ، ورجل كرّار ومكرّ وكذلك الفرس وكرّ الشيء وكركره : أعاده مرة بعد أخرى ، والكرّة المرة والجمع الكرّات ، ويقال كرّر عليه الحديث وكركرته إذا رددته ،والكرّ:الرجوع على الشيء ،و الإتيان به مرة بعد مرة ومنه التكرار"[4] وكرّرت الشيء "تكريرا وتكرارا ،و التكرة بمعنى التكرار وكذلك التسرة و التضرة والتدرة "[5]

و نجد في أساس البلاغة :"كرّر :انهزم عنه ،ثّم كرّ عليه كرورا ، و كرّ عليه رمحه وفرسه ،وكرّ بعدما فرّ، هو مكرّ مفرّ ،وكرّار فرّار ،وكرّرت عليه الحديث كرّا ،وكرّ على سمعه كذا، وتكرّر عليه "[6]

ومنه أخذ امرؤ القيس معنى (مكرّ) في بيته الشعري القائل فيه:

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطّه السيل من علّ[7]

والكرّة :المرة والجمع الكرّات و"ناقة مكرّة تحلب في اليوم مرتين "[8]

وممّا يدل على توظيف مصطلح التكرار عند العرب قديما قول الأعشى :

وأهلي فداؤك عند النّزال إذا كان دعوى الرّجال الكرير"[9]

ويقال له أيضا التكرير، جاء في مختار الصحاح :"الكرّ الرّجوع وبابه ردّ، يقال :كرّه وكرّ بنفسه يتعدّى ويلزم، وكرر الشيء تكريرا وتكرارا "[10]

فالمادة اللغوية (كرر) بمشتقاتها في العربية تنتظم معنى الرجوع إلى الشيء وإعادته،والترديد الصوتي ، وتعني كذلك الربط والجمع ، ويتجلّى هذا في تكرار الجملة ،و خير مثال على ذلك ما أورده الله تعالى في سورة

الرحمن في الفاصلة المكرّرة في قوله تعالى "فبأيّ ألاء ربّكما تكذبان"[11] فيجد المتعمن في ذلك أن الفاصلة المكرّرة تمثل حلقة وصل تجمع ما تفرق من معان في السورة ،وكأن بقية الآيات في السورة خرزات متناثرة تنظمها وتربطها هذه الجملة المكرّرة ،وهو ما يجده الدارس أيضا في التجربة الشعرية ،فإن الدارس لقصيدة ما في موضوع معين يجد أن اللّفظة المكرّرة هي لبّ الموضوع ومفتاحه ،وعليها اعتماده ، و أ ن فيها مجامع أفكاره ومنها يفرق كلماته على سائر القصيدة ،فهي بمثابة الرابط الذي يجمع أبيات القصيدة .

كما يلاحظ الباحث في الأصل اللّغوي للفظة التّكرار وجود علاقة صوتية أو حركية تكاد توجد في جميع مشتقاتها ، ففي صوت الرحى مثلا استمرار لنغمة رتيبة ومتلاحقة تتولّد عن حركة إدارة الرحى وترديدها ، وفي حشرجة الصدر توافق صوتي مشابه ،وقد يتولّد عن هذا النظام الصوتي نوع من التناغم الصوتي ، وهو كذلك في التكرار ؛فإن التكرير اللّفظي ترديد لنفس الصوت لأنه ليس هو في مبتدأ الأمر ومنتهاه ،إلاّ إعادة للفظة أو العبارة سواء كان ذلك متعاقبا أم متراخيا. وقد وردت بعض تصريفات الكرّ في القرآن الكريم ، قال الله تعالى :"ثّم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا"[12] وقوله :"فلو أنّ لنا كرّة فنكون من المؤمنين"[13] وقوله تعالى :"وقال الّذين اتّبعوا لو أنّ لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرءوا منّا كذلك يريهم الّله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النّار"[14]

2-2-التكرار اصطلاحا :

يعد الجاحظ من أوائل الّذين تحدثوا عن التكرار وأشارو ا إلى أهميته ،وبينوا محاسنه ومساوئه ،حيث يقول في هذا الصدد :"ليس التكرار عيّا مادام لحكمة كتقرير المعنى ،أو خطاب الغبي ،أو الساهي .كما أن ترداد الألفاظ ليس بعي مالم يتجاوز مقدار الحاجة ويخرج إلى العبث "[15]تأسيسا على ماسبق ،يمكن القول أن التكرار أسلوب متداول عند العرب ،تحكمه ضوابط فهو لا يستعمل إلا عند الحاجة وبالقدر الّذي يقتضيه المقام .

وقد قسم ابن رشيق القيرواني (ت 463ه) التكرار إلى ثلاثة أقسام :تكرار اللفظ دون المعنى ،ويرى أنه أكثر أنواع التكرار تداولا في الكلام العربي ،وتكرار المعنى دون اللفظ وهو أقلها استعمالا وتكرار الاثنين أي اللفظ والمعنى ،وقد اعتبر القسم الأخير من مساويء التكرار بل حكم عليه بأنه الخذلان ذاته "[16]وإلى جانب ذلك ، أشار ابن رشيق القيرواني إلى أهم المواضع التي يحسن فيها التكرار ، فالشاعر يكر راسما معينا ؛إما على سبيل "التشوق و الاستعذاب ،ويكون ذلك في الغزل والنسيب ،أو على سبيل التنويه بالمكرر في المدح تفخيما له ،أو على سبيل التقرير والتوبيخ ،وتعظيم المحكي عنه ،والوعد والوعيد، و الاستغاثة والهجاء ، والرثاء ،والغرض الأخير أكثر استعمالا لهذه الظاهرة ويعلل ذلك بشدة القرحة التي يجدها المصاب "[17]

أمّا مصطلح التكرار في الدراسات الحديثة فإنه قد أخذ منهجا جديدا على غرار ما وجدناه عند القدامى "إذ يتميّز التكرار في الشعر الحديث عن مثيله في الشعر التراثي بكونه يهدف بصورة عامة إلى اكتشاف المشاعر الدفينة وإلى الإبانة عن دلالات داخلية فيما يشبه البث الإيحائي ،وإن كان التكرار التراثي يهدف إلى إيقاع

خطابي متوجه إلى الخارج ،فإن التكرار الحديث ينزع إلى إبراز إيقاع درامي"[18] وبذلك أصبح التكرار إحدى الوسائل الأسلوبية التي من خلالها يتم سبر أغوار النص واستجلاء مختلف المشاعر والأحاسيس المتواشجة في نفس المبدع "إنه إحدى المرايا العاكسة لكثافة الشعور المتراكم زمنيا عند الذات المبدعة يتجمع في بؤرة واحدة ليؤدي أغراضا عديدة "[19]

يتحدد التّكرار في أبسط مستوى من مستوياته بأن "يأتي المتكلم بلفظ ثّم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا ،أو يأتي بمعنى ثّم يعيده وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني ،فإن كان متّحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس وكذلك إذا كان المعنى متحدا وإن كان اللفظان متفقان والمعنى مختلفا ،فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين "[20] أو أن "يكرّر المتكلّم اللّفظة الواحدة باللفظ والمعنى"[21] يتأسس هذا المفهوم للتكرار على إعادة الكلمة الواحدة أكثر من مرة في سيّاق واحد ، وذلك من أجل تحقيق فائدة تتمثل في التأكيد ،غير أن الأمر يختلف في الدراسات الحديثة حيث أصبح التكرار في الشعر الحديث يتميز عن مثيله في الشعر القديم بكونه يهدف بصورة عامة إلى اكتشاف الجانب الفنّي فيه، وبذلك انتقل التكرار من كونه مجرد أداة للتأكيد إلى أسلوب فنّي تتكيء عليه القصيدة الحديثة ؛ فلم يعد ذلك التكرار الذّي انحصر في تكرار اللفظ والمعنى بل أصبح التكرار "تكنيكا فنيا من تكنيكات القصيدة الحديثة على يدي شعراء التفعيلة الذّين استخدموه على نطاق واسع وبأشكال متنوعة ودلالات عميقة " [22]ووسيلة "من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي ـ دورا تعبيريا واضحا في القصيدة ، فتكرار لفظة ما أو عبارة ما يوحي بشكل أولي بسيطرة بهذا العنصر المكرر ،وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أولا شعوره ومن ثّم هو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة إلى أخرى "[23]

لعلّ من بين من خصّه بالدراسة نجد نازك الملائكة ،حيث تعرف التّكرار قائلة :"التّكرار في حقيقته هو إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها ...فالتكرار يسلّط الضوء على نقطة حسّاسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلّم بها "[24]

ويمكن القول أن التّكرار:"جزء من الهندسة العاطفية للعبارة يحاول الشاعر من خلاله أن ينظم كلماته بحيث يقيم أساسا عاطفيا من نوع ما"[25] فالشعر –حسب تعريف نزار قباني – "هندسة حروف وأصوات ...والشعراء مهندسون لكل منهم طريقته في بناء الحروف وتعميرها "[26]

ويعر ف جورج مولينيه George molinié التّكرار بأنه "الوسيلة الوحيدة التي لا خلاف حولها لاكتشاف واقعة لغوية وتحديدها في البراغماتية الأدبية ،ويمكن لإعادة الواقعة الأدبية أن يأخذ شكل تكرار الدّال مع مدلول واحد ،أو تكرار الدّال مع مدلول يحقّق من جديد في كلّ مرة ،أو تكرير مدلول مع دالاّت أخرى "[27]يتضح لنا من تعريف جورج مولينيه George molinié أن التكرار يأتي على أشكال عديدة في النصوص الأدبية نظرا لما يحتويه من إمكانات تعبيرية وطاقات إيحائية جمالية هائلة ،تتمثل في تكرار الكلمة و العبارة وتكرار المقطع.

3-أنماط التكرار في الشعر الحديث والمعاصر:

انتهت الدراسات الحديثة إلى تقسيم التكرار إلى ثلاثة أقسام ،هي :التكرار البياني وتكرار التقسيم والتكرار اللاشعوري .

3-1--التكرار البياني :يعد التكرار البياني من أبسط أشكال التكرار المتعددة ،وهو الأصل ، يقوم على تكرير الكلمة أو العبارة ، وهو التكرار الذي "يأتي لرسم صورة ،أو لتأكيد كلمة أو عبارة ،تتأكد دائما في القصيدة"[28] الغرض العام منه "التأكيد على الكلمة المكررة أو العبارة "[29] و "إثارة المتلقي وتوجيه ذهنه نحو الصورة المستحضرة لخلق ما يسمّى بلحظة التكثيف الشعوري "[30] ومن معانيه أيضا تصوير الحركة والتردد .

3-2-تكرار التقسيم :يؤدي هذا النمط من التكرار دورا بارزا في هندسة القصيدة يأتي في شكل تكرار ل" كلمة أو عبارة في ختام كل مقطوعة من القصيدة ،غرضه الأساسي عمل النقطة في ختام المقطوعة وتوحيد القصيدة في اتجاه معين ،كما قد يرد في أول كل مقطوعة يؤدي وظيفة افتتاح المقطوعة ويدق الجرس مؤذنا بتفريع جديد للمعنى الأساسي الذي تقوم عليه القصيدة "[31] لينبه القاريء ببداية فكرة جديدة يتفرع منها معنى جديد .

3-3- التكرار اللاشعوري:هو التكرار الناتج عن "تجربة شعورية شديدة التكثيف والتي تبلغ أحيانا درجة المأساة ، لا يجد الشاعر لنفسه تحولا عنها؛ إذ تبقى مسيطرة عليه فتظهر مكررة فيما يقول ،ويعتمد استمرارها على بقاء الحالة الشعورية التي تقترن بها[32] ويظهر هذا النمط من التكرار في صور متعددة كتكرار حرف ،وكلمة ،وعبارة ،مقطع ، ويتميّز هذا النوع من التّكرار عن غيره في إمكانية امتداده عبر الزمن.

حظي التكرار باهتمام الدراسات الحديثة بوصفه ظاهرة مهمة في الشعر العربي المعاصر ،في حين تسترعي هذه الظاهرة ضوابط لها حتى لا تتحول من وسيلة بناء إلى وسيلة هدم ،فليس كل تكرار ناجحا ومقبولا "فبعض التّكرارات متكلفّة ،سامجة تافهة "[33]لذلك نجد نازك الملائكة تدعو إلى التفطن في التعامل مع هذا الأسلوب ،فالشاعر إذا تساهل مع التكرار و اعتبره أسلوبا سهلا فإنه يُخِلُ بشعره ، و يصبح غير مقبول ،ذلك أن التكرار يحتوي على إمكانات تعبيرية قابلة للتدبر والاستثمار ، يستطيع الشاعر من خلالها أن يثري المعنى ،ويرفعه إلى مصاف الجمال والتأثير ،وذلك لا يتم إلا إذا تمكن منه الشاعر ،و أحسن استعماله في موضعه " وإلا فإنه سيتحول إلى تكرار مبتذل لا فائدة منه "[34] وبذلك يكو ن التكرار وسيلة أسلوبية تساهم في إبراز جمالية الخطاب الشعري ،لا تقلل من شأن الشاعر المتمكن من أسلوبه في التعبير ،ويكون من الظواهر التي تعد مصباحا لإنارة عتمة النص الشعري ،حيث يكشف هذا الأسلوب عن عمق رؤية المبدع ،ويقدم لنا إيحاء بعلاقة المبدع بالمكرر ؛ولمّا كان التكرار من الوسائل الأسلوبية التي يعمد إليها الشاعر لحمل رؤيته وجب الوقوف عند جمالياتها ودلالاتها .

4-أساليب في قصيدة أغنية للرفاق لمحمّد الصالح باوية :

يؤدي التكرار_عند محمد الصالح باوية- دورا كبيرا في عكس تجربته الانفعالية التي شكلها ،إذ هو ليس مجرد تكرار لعناصر صوتية وألفاظ بصورة مبعثرة غير متصلة بالمعنى ، وليس إضافة جمالية إلى القصيدة بحيث يحسن الشاعر صنعا بمجرد استعماله ،بل وسيلة أسلوبية استعان بها الشاعر في التعبير عن تجربته الشعورية ، له دور كبير و فعّال في تعميق الدلالات والأهداف التي يتوخاها الشاعر ، وهو أسلوب اعتمده الشاعر وميزة انفرد بها في بناء قصيدته ،أضفى عليها جمالا فنيا وثراء دلاليا وايقاعا ترنميا أسهم في خلق أجواء مموسقة تدفع القاريء إلى التمتع والتلذذ بها، تبعده عن الملل والرتابة بوصفه "من أهم الأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره ،ولابّد أن يركز الشاعر في تكراره ، كي لا يصبح التكرار مجرد حشو فالشاعر إذا كرر وألح فقد أظهر للمتلقي أهمية ما يكرره ،كي تتجدد العلاقات وتثري الدلالات وينمو البناء الشعري [35]

إنّ للتّكرار في شعر محمّد الصالح باوية دورا كبيرا في عكس تجربته الشعرية و الشعورية ،فالتكرار عنصر فعال في تكوين قصيدته ،فهو عندما يركز اهتمامه على صوت معين ،أو إسم معين يجعله النقطة المركزية التي يتمحور حولها نصه الشعري ،وللتكرار في قصيدة أغنية للرفاق تجليات مختلفة منها :

4-1-**التكرار الصوتي** : يعد التكرار الصوتي من مثيرات الشاعر ،وهو أدنى أشكال التكرار، يقوم على "تكرار أكثر من صوت واحد " [36] بنسب متفاوتة في جملة شعرية ، وقد يتعدد أثر التكرار، يعمد الشاعر إلى تكرار الأصوات عن قصد أو غير قصد وترديدها في سياق النص الشعري لما لها من أهمية دلالية لأنها تعبر عن خلفية دلالية أراد الشاعر أن يرسلها إلى المتلقي بطريقة غير مباشرة لتدغدغ كيانه للإنتباه إلى نوع الصوت المكرر وإجباره على الوقوف عند دلالته ،وأمثلة هذا النوع من التكرار في شعر محمد الصالح باوية كثيرة .

يقول الشاعر :

يارفاقي ،يارفاقي في الذرى ،في السجن ،في القبر وفي آلام جوعي

قهقه القيد برجلي يارفاقي ،حدّقوا ..فالثأر يجتر ضلوعي

أن أراها ضربة عذراء تعزو بسمة السفّاح في الحقل الخصيب "[37]

لقد شهدت القصيدة تغيرا في حرف الروي تماشيا مع تغير الحالة الشعورية للشاعر التي تتبدل حالها من حال إلى حال ،إلا أن صوت الياء يظل فاعلا على مدار القصيدة كلها ،ويحتفظ بنسبة تردد عالية ،و هو صوت ينتمي إلى عائلة الأصوات اللينة التي تفطن أذن السامع لها ،لما تتميز به من قوة .

يقول الشاعر :

ورفاقي كمنوا في ثنية الوادي

صوبوا المدفع للسجن

وبانوا شهبا تروي أحاسيس الحياة "[38]

تكرر صوت النون في القصيدة 25مرة ،وهو صوت "مجهور متوسط بين الرخاوة والشدة [39] ،جاء تكراره في عدة كلمات (كمنوا ،ثنية ،السجن ،بانوا) ،وتكراره على هذه الشاكلة أشبه بفاصلة موسيقية ترسم أنغامها المترددة لتجسد الحالة الشعورية التي يعاني منها الشاعر ،حالة مزدوجة من العواطف الحماسية ،وحالته النفسية المفعمة بأحاسيس الحزن و مشاعر الألم .

وقد كرر الشاعر صوت الراء في المقطع التالي :

وأنا الإعصار في عيد الطغاة

ياصرير الثأر يسري في حنايا ضربتي نارا تناغي أمنياتي

أنا جبار ورعد وانفجار..أحمل الفجر بأيد داميات [40]

ومن الملاحظ في هذه القصدة تكرار صوت الراء 36 مرة ، والراء صوت " لثوي مجهور "[41] " مكرر"[42] ،الصفة المميزة لصوت الراء هي "تكرر طرق اللسان للحنك عند النطق بها "[43] الأمر الّذي ولد ايقاعا اهتزازيا في القصيدة ؛ فالإيقاع المتولّد من صوت الراء بث نوعا من الإيقاع النفسي الداخلي الّذي يتردد بين الانخفاض والارتفاع ،كما جاء في الكلمات الأتية : (الإعصار ،صرير،الثأر ،يسري ،نارا ،جبار ،رعد،انفجار)وهي مناسبة للجوّ العام الذي تحفله القصيدة ،حيث كان خير معبر استند عليه الشاعر لترسيخ صوته الملحاح المدوي بالثورة والنضال .

يقول الشاعر:

يارفاقي ،يارفاقي في الذّرى ،في السجن في القبر وفي آلام جوعي

قهقه القيد برجلي يا رفاقي حدّقوا ..فالثأر يجتر ضلوعي [44]

تكرر صوت القاف 18مرة ، وهو صوت "شديد مهموس منفتح "[45] يحيل إلى رغبة الشاعر في الثأر ،يتناسب والدلالة التي يرمي إليها الشاعر ، ومن الواضح أن الشاعر قد اعتمد في إبراز أفكاره ومشاعره على الطاقة الموسيقية التي يحملها صوت القاف للتعبير عن الفكرة المسيطرة عليه في القصيدة ،و التي أضفت إيقاعا قويا يعانق الدلالة التي تحمل معاني الانفجار والثورة وروح المقاومة .

و من الظواهر الموسيقية للتكرار الصوتي ،تكرار أصوات المد الممتدة ، الملائمة للحالة الشعورية ،والمزاج النفسي للشاعر ،يقول الشاعر:

يارفاقي ،يارفاقي في الذّرى ،في السجن ،في القبر وفي آلام جوعي

قهقه القيد برجلي يارفاقي ،حدّقوا ..فالثأر يجتر ضلوعي

ياجنون الثورة الحمراء يجتر كيآني ومغارات ربوعي "[46]

جاء النص الشعري "أغنيات للرفاق " مضجا بمعاني الثورة والجهاد والحماس ، حيث نجد الشاعر قد لجأ إلى حروف المد الطويلة بوصفها أصواتا تتميّز بقوّة إسماعها - وهي تستغرق مدة طويلة عند النطق بها – وهو ما يسمى ب"الحركة الطويلة التي تحتاج في نطقها إلى فتح مجرى الهواء وتخليته من أي عائق حتى يخرج الصوت حرّا طليقا محدثا أكبر كمّ من الصوتية" [47]للتعبير عن أحاسيسه العميقة والممتدة المتمثلة في غضبه العارم ولهفته لثورة الغضب والنصر ،وقد ساعده ذلك في التناغم مع رؤيته الشعرية ، وهذا ما يضفي على القصيدة وضوحا في نغمة زادها التوزيع الصوتي للقاف والراء والنون انسجاما وجمالا ،وكذلك استخدامه لصيغ التضعيف في (حدّقوا ،الذّرى ،كيّاني ،الثّأر ،يجتّر) التي زادته قوة دلالية ،كما ساهم حرف الجرّ(في) الّذي تكرر فيي القصيدة نفسها (في الذّرى ،في السجن ،في القبر ،في آلام جوعي) في تكثيف التوزيع الصوتي الايقاعي .

4-2-تكرار حرف الجرّ :ومن نماذج تكرار حرف الجر قوله :

وأحس الريح تعوي في ضلوعي ،في دمائي

في حقوقي ،في لهاتي

ورفاقي كمنوا في ثنية الوادي

وفي السّحب وفي كوخ الرّعاة

صوبّوا المدفع للسجن

وبانوا شهبا تروي أحاسيس الحياة [48]

يتخذ الشاعر في هذا المقطع الشعري من حرف الجرّ (في) البؤرة لتعميق المعاني المستنبطة ، التي استطاعت أن تعبر عن الحسّ الثوري لديه،بوصفها أداة فاعلة ذات دور علائقي رابط، تضم جزيئات المعنى وتوحدها ، وهذا التكرار ولد تماسكا في الأنساق والجمل الشعرية ،من بداية النسق حتّى نهايته، ليتغلغل في حركة القصيدة وبنائها الفنّي ،وقد ساعده في ذلك تكرار حرف العطف (الواو) على ترابط العناصر المعبرة بعضها ببعض ،وجعل الشاعر يعبر عن الأحداث بتلقائية ،دون تكلف .

ومن اللافت للانتباه في القصيدة تكرار حرف النداء (يا) في القصيدة الذي استغله الشاعر كبداية لفاصلة موسيقية ،إذ يقول :،

يارفاقي ،يارفاقي في الذرى ،في السجن في القبر وفي آلام جوعي

قهقه القيد برجلي يارفاقي ،حدّقوا ..فالثأر يجتر ضلوعي

ياجنون الثورة الحمراء يجتر كياني ومغارات ربوعي

ياصرير الثأر يسري في حنايا ضربتي نارا تناغي أمنياتي "[49]

تكرر حرف النداء (يا) ثلاث مرات ،في القصيدة ،ووظفه الشاعر هنا لإضاءة ألفاظه وجعلها أكثر تميّزا عن غيرها ،وقد ولّد هذا التكرار قدرة فائقة على رسم حركة تتابعية ترصد حالة الشاعر الشعورية ،ومدى رغبته في الثأر من الاستدمار الغاشم .

3-4-تكرار الضمير: يشكل تكرار الضمير ظاهرة فنية لافتة في القصيدة ؛بوصفه تكرار يحدث هزة وقشعريرة شعورية لدى المتلقي للتنبيه على حالة شعورية معينة ،وللتدليل على هذا النوع النوع من التكرار ،نأخذ المقطع الشعري التالي :

أنت أوراس أنا ملء كياني

وأنا الإعصار في عيد الطغاة

أنا جبّار ورعد وانفجار ..أحمل االفجر بأيد داميات "[50]

قد تكرر الضمير المنفصل في مطلع الأبيات السابقة ،وهو ما يعرف بالتكرار الاستهلالي ؛يكون بتكرار كلمة ،أو عبارة في أول كل بيت ،فإذا نظرنا في تكرار بنية الضمير (أنا) لاحظنا شيئا لافتا هو حضور الذات حضورا إيجابيا ،وتجليها تجلياّ قوياّ لاقترانها بلفظة (ملء كياني)ولفظتي (الإعصار) و(جبّار) ،وكلّ هذه الألفاظ فيها قوة وتحدي وتعظيم للذات ،وبذلك أصبح الضمير هنا يجمع معاني التحدي والصمود والقوة والتضحية ،وما ذلك إلا انعكاس لحالة الشاعر الثائرة ؛فالشاعر عندما يكرر عبارة ما فهذا دليل على عنايته بها ،وأن وراءها دلالة نفسية قيمة ،وعليه لا ينبغي النظر إلى كل تكرار على أنّه تكرار ألفاظ لا صلة له بالمعنى العام للقصيدة ،بل قد يكن ذا صلة وثيقة بالمعنى العام للقصيدة .كم يولد تكرار الضمير المنفصل (أنا)في الأبيات الشعرية السابقة إيقاعا نغميا موقظا للدلالة وباعثا لحراكها الجمالي ،بوصفه مركز ثقل الصورة الشعرية ،ومحرك حركتها وجذرها الذّي ترتكز عليه ،إذ وجد الشاعر في هذا التكرار صورة من صور التلاحم والتضافر الفني في هذه القصيدة ليدلل على حسه الوطني ،وهذا التكرار من شأنه أن يرفع وتيرة الإيقاع الصوتية إثر تتابع

التكرار في فواتح الأسطر الشعرية تتابعا فنيا موحيا ؛وقد عمد الشاعر إلى هذا الأسلوب ليمتن أواصر القصيدة ويحقق تناغمها.

4-4-تكرار الكلمة : ويقصد بتكرار الكلمة أن يكرر الشاعر كلمة شعرية ، سواء كانت اسما أم فعلا ،تكرارا فنيّا ، يستثير الدلالة ويقوي المعنى .

4-4-1- **تكرار الكلمة /الاسم** :يعد تكرار الكلمة أكثر وضوحا من تكرار الأصوات ، وأكثر فاعلية في ترابط الأبيات وتماسكها ،كما يعين على إبراز الفكر ة التي يلح الشاعر على إبرازها والتعرف على الأحاسيس والمشاعر المسيطرة عليه لحظة الإبداع الفني .

إنّ أوّل ما يلفت إنتباه القاريء من تكرار في هذه القصيدة ،هو تكرار لفظة "يارفاقي"في بدايتها ،فقد وردت في القصيدة أربع مرات ، وردت في البيت الأول مرّتين :

يارفاقي ،يارفاقي في الذرى ،في السجن في القبر وفي آلام جوعي "[51]

وفي البيت الثاني مرّة واحدة :

قهقه القيد برجلي يارفاقي حدّقوا ..فالثأر يجتر ضلوعي [52]

وفي البيت الخامس عشر مرّة واحدة :

ورفاقي كمنوا في ثنية الوادي

وفي السحب وفي كوخ الرعاة

صوبّوا المدفع للسجن

وبانوا شهبا تروي أحاسيس الحياة [53]

استهل الشاعر قصيدته بلفظة (رفاقي) مسبوقة بأداة النداء (يا)،وكررها في البيت الثاني إلى جانب أنه كررها في البيت الخامس عشر ، يقدم شحنة انفعالية تصور نفسية الشاعر المليئة بالحقد والرغبة في الثأر من المستعمر ، فالشاعر في هذه الأبيات يدعو رفاقه إلى تفجير الثورة ،وهذا التكرار لم يأت عشوائيا وإنما جاء مشحونا بطاقة فنية عالية ،موحدا لحركة الصور وباعثا على ترابطها وانسجامها الفني ،وقد أعطى هذا للنص الشعري بعدا ايحائيا ودلاليا ، تمثلت مظاهره في ندائه للثورة.

ولهذا التكرار الأخير بالذات دلالة مهمّة ،فهو يرسم أمام عيني المتلقي صورة ،يقو م بوظيفة عرض المشاهد التي كان الرفاق يُرَوْنَ بها ؛فهم مرة في ثنية الوادي ،ومرة أخرى في السحب ،وثالثة في كوخ الرعاة ،إنّها صورة للوضع الّذي مر به الرفاق أثناء الثورة .

2-4-4-تكرار الكلمة /الفعل : يعد تكرار الكلمة /الفعل من المؤشرات الدالة على حدة الموقف الشعوري والتوتر الانفعالي في عمق الذات الشاعرة ،يقول الشاعر:

أقسمت امي بقيدي ،بجروحي سوف لا تمسح من عيني دموعي

أقسمت أن تمسح الرشاش والمدفع والفأس بأحقاد الجموع

أن أراها ضربة عذراء تغزو بسمة السفاح في الحقل الخصيب

أقسمت أن ترضع النصر وأختي في ضفاف الموت في عنف اللهيب [54]

كشف تكرار الفعل (أقسمت)عن إيقاع داخلي يتحثثه القاريء من خلال النغم المتواتر في بداية كل سطر شعري ؛ولو تأمل القاريء في حركة الفعل (أقسمت)وما يختزنه من طاقات دلالية وعاطفية لأدرك أن وظيفته الشعرية تجاوزت نطاق الدلالة لتدخل في صلب البناء الشعري ،وصلب إنتاج الرؤيا ،وظفها الشاعر في مطلع كل بيت وهي مناسبة للمقام الذي هو ،كما أن تكرارها لا يبعث الملل في نفس سامعها بل تشده إلى غاية يسعى الشاعر إلى زرعها في ذهن المتلقي وهو الإشادة بدور المرأة وبطولتها، فالمرأة في شعر محمد الصالح باوية بطلة ماردة لم تعد تقتصر وظيفتها على أعمال المرأة العادية بل شاركت الرجل في الجهاد والنضال ،وهكذا غيرت الثورة الوظائف وأعادت تقسيم الأدوار بين الرجل والمرأة ؛فالمنديل بيدها انزاح عن وظيفته الأصلية وهي مسح الدموع لمّا أنيطت به مهام أكثر أولوية في سلم أولويات الثورة .

5-الخاتمة :نستخلص مما سبق تداوله من عرض لأسلوبية التكرار في قصيدة "أغنية للرفاق " النتائج المهمة التالية التي اكتشفناها من خلال هذه التعريجة البحثية في هذا الجانب المهم في شعرية القصيدة ،وهي :

-استخدام الشاعر للتكرار بمظاهره المتنوعة ،كتكرار الصوت وتكرار الكلمة /الاسم والكلمة / الفعل وخروجه عن المتداول والمألوف في دلالات الألفاظ واستثماره لفاعلية التكرار في التشكيل الفني لقصيدته ،بهدف إثرائها من حيث الإيقاع الموسيقي الذي جعلها قصيدة متماسكة متصفة بالوحدة العضوية.

-يكشف التكرار في شعر محمد الصالح باوية عن سعة معجمه ،و قوة امتلاكه للغة ،وقدرته الإبداعية على تشكيل لغة جديدة تنزاح عن المألوف لإيجاد لغة شعرية تدهش القاريء ،وتكسر أفق التوقع لديه ،وتحدث في وجدانه ،يشعر إزائه بالارتياح .

-التكرار ألية ايقاعية تساهم في بناء موسيقى النص .

-للتكرار دور وظيفي وأخر إيحائي.

-للتكرار للتكرار وظيفة جمالية تكمن في الإيقاع ،ووظيفة معنوية تكمن في الدلالات الناتجة عن التكرارات ، فالتكرار يقوم بوظيفة شعرية تكثّف جمالية النص وتزيد من كثّافة الشعور لدى الشاعر وتؤدي إلى لحمة القصيدة من خلال ربط التكرار بالمعنى العام للقصيدة .

-إنّ التّكرار في قصيدة أغنية للرفاق يؤدي دورا مهما ،فقد استطاع الشاعر أن يربطه بالمعنى والرؤية معا ، ربطا دقيقا موحيا ،وهذا ينبع من موهبة الشاعر ومدى براعته الفنية في الخروج بالتكرارات من دائرتها النمطية إلى دائرتها الفنية والأسلوبية المبتكرة .

-إن ظاهرة التكرار عند محمد الصالح باوية كانت بمنزلة مصباح لإضاءة عتمة نصه الشعري ،فقد كشفت عن عمق رؤية الشاعر ،وعما يقف خلف كلامه ،وعما كان لشخص الشاعر من تداعيات مختلفة ، كما كشف التكرار عن كثافة الشعور في نفسية الشاعر من خلال فاعليته في بنية النص الشعري .

6- قائمة المراجع :

[1] ميكائيل ريفاتير ، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة :حميد الحميداني ،منشورات دراسات سال ،دار النجاح الجديدة البيضاء ،ط1،1993،ص:10

[2] المرجع نفسه ،ص:10

[3] نازك الملائكة ،قضايا الشعر المعاصر ،منشورات مكتبة النهضة ،ط3،1968،ص:230

[4] محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل ، ،لسان العرب ، دار صادر ،بيروت ،مج 5،ص:135

[5] المصدر نفسه ،ص:135

[6] أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ،ج2،تح :باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1،ص:128

[7] امرؤ القيس ،ديوان امرؤ القيس ،تح: محمد أبو الفضل ،دار المعارف ،ط4،ص:19

[8] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ،تاج العروس من جواهر القاموس ،ج14، تح : عبد العليم الطحاوي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،1974ص:29

[9] ينظر : ابن منظور :لسان العرب ،مصدر سابق ،ص:136 ،الزمخشري ، أساس البلاغة ،مصدر سابق ،ص:129،ميمون بن قيس ،ديوان الأعشى الكبير ،تح :محمد حسين ،ص:97

[10] محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ،مختار الصحاح ،مكتبة لبنان ،1986،ص:236

[11] سورة الرحمن ،الأية :13

[12] سورة الإسراء ،الأية :6

[13] سورة الشعراء ،الأية :102

[14] سورة البقرة ،الأية :127

[15] الجاحظ ،البيان والتبيين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1998،ج1،ص:79

[16]ينظر:ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر ،وآدابه ونقده ،تحقيق :محمد محي الدين ،عبد الحميد ،دار الجيل ،بيروت ،ط4،1972،ص:59

[17]ينظر:المصدر نفسه ،ص:59

[18]ينظر:رجاء عيد ،لغة الشعر (قراءة في الشعر العربي)،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،ص:60

[19]فهد نصر عاشور ،التكرار في شعر محمود درويش ،دار الفارس ،الأردن ،ط1،2004،ص:11

[20]أحمد مطلوب ،معجم النقد العربي القديم ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،العراق ،ج1،ط1،1989،ص:370

[21]تقي الدين أبو بكر ابن حجة الحموي وأحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني ،خزانة الأدب وغاية الإرب وبهامشه رسائل بديع الزمان الهمذاني ،1921،ص:205

[22]شفيع السيد ،النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية ،دار غريب ،القاهرة ،مصر ، ط1،2006ص:150

[23]النعمان القاضي :أبو فراس الحمداني ،الموقف والتشكيل الجمالي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،1980،ص:402

[24]نازك الملائكة ،قضايا الشعر المعاصر ،منشورات مكتبة النهضة ،ط3،1967،ص:242

[25]حسني عبد الجليل يوسف ،موسيقى الشعر العربي (دراسة فنية عروضية)،الهيئة المصرية للكتاب ،ج1،1989،ص:16

[26]المرجع نفسه ،ص:17

[27]جورج مولينيه ،الأسلوبية ،ترجمة وتقديم :بسام بركة ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط2،2006ص:183

[28]عصام شرتح ،ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،2005،ص:12

[29]نازك الملائكة ،قضايا الشعر المعاصر ،ص:246

[30]عصام شرتح ،ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل ،ص:12

[31]ينظر:نازك الملائكة ،قضايا الشعر المعاصر ،ص:250

[32]ينظر:المرجع نفسه ،ص:253

[33]محمد بن يحيى ،السّمات الأسلوبية في الخطاب الشّعري ،عالم الكتب الحديث ،إربد الأردن ،ط1،2011،ص:122

[34]ينظر:نازك الملائكة ،قضايا الشعر المعاصر ،ص:230

[35]مدحت سعيد الجيار ،الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا ،1984،ص:47.

[36]ينظر:إبراهيم جابر علي ،البنية الصوتية في الشعر الحديث ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،ص:192

[37]محمد الصالح باوية ،أغنيات نضالية ،ص:41

[38]محمد الصالح باوية ،المصدر السابق ،ص:42

[39]إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية ،ص:66

[40]محمد الصالح باوية ،مصدر سابق ،ص:42،41

[41]كمال بشر ،علم الأصوات ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ، ص:346.

[42]إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية ،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط5 ،1975ص:66

[43]المرجع نفسه ،ص:66

[44]محمد الصالح باوية ،المصدر السابق ،ص:41

[45]إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ،ص:84

[46]محمد الصالح باوية ،أغنيات نضالية ،ص:41

[47]محمد عبد المطلب ،هكذا تكلم النص (استنطاق الخطاب الشعري لرفعت سلام)،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1997،ص:243

[48]محمد الصالح باوية ،أغنيات نضالية ،ص:42

[49]محمد الصالح باوية ،أغنيات نضالية ،ص:41-42

[50]محمد الصالح باوية ،أغنيات نضالية ،ص:42

[51]المصدر نفسه ،ص:41

[52]المصدر نفسه ،ص:41

[53]محمد الصالح باوية ،أغنيات نضالية ، ،ص:42

[54]المصدر نفسه،ص:41